

### معتصم الصالح

كواليمبر

ظاهرة مزج الدين بالسياسة، ظاهرة قديمة جدا، تبلورت في العصور الأخيرة بعد انهيار الخلافة العثمانية نهائيا الحرب العالمية الأولى. الا انها بقيت على الهامش، حتى انهارت منظومة القيم القومية التي سادت لوقت ليس بالهين.

من خلال استراتيجيات الفشل والإخطاء التي وقعت بها النظم السابقة، طرحت الأديان نفسها بديلا في الدين والحياة ومشروعاً ناجحا وطوق نجاةٍ آخر. وخلال هذه الفترة كانت القيم الدينية المعروضة للمتلقى وللمهتم هي مجموعة من القيم الأخلاقية، وسلسلة من الأفكار الاقتصادية السياسية والاجتماعية شكلت مجملها الضمير

الإخلاقي الديني، والتي اعتبرت من أهم ملكات العقل السياسي الديني. لوحظ لاحقا، ليس فقط الفشل في التطبيق لهذه القيم والملمات الدينية في التجربة السياسية، بل التناقض الواضح بينها وبين ما يمكن وصفه بالبرهان لذلك الفشل. الاستمرار في الفشل والتي يطلق عليها مصطلح "البغائنية" هي مشكلة العقل المعرفي المعاصر، وهذا العقل يمكن وصفه بأنه مفيد وتقيد شديد، وكما يقول الدكتور المرحوم احمد زكي "الإنسان مفيد قبل ان يولد، وبعد ان يولد، والى ان يموت يضيق بالقيد، فيطلب الحرية مع القيد...".

اما العقل الديني فبالإضافة الى مجموعة القيود هذه، فرضت عليه مجموعة سلطات اولها الديان " وهي عبارة عن

نظام معرفي للانتقال من حالة اللاوعي الى الوعي، وللأدراك الى الإدراك، وهو ما جاء بلسان العرب ويُلخص (الفصل والانفصال) و(الظهور والاطهار). الإمام الشافعي حدد "البيان بـ (الأصل والفروع) أي البناء الهرمي للمعرفة، بينما قراءة الجاحظ للبيان تتلخص في تحقيق الانسجام في اللفظ والمعنى.

**عقل ديني**

وكلنا القراءتين أوقعت العقل الديني في مشكلة تحديد الأصل من فروعه وكذلك التشظي في تفسير اللفظ ومعانيه والانتقاء حسب الأهواء والوقت. ان ازدواج المفاهيم التي تشكل العناصر الرئيسية للفظ والمعنى والأصل والفُرع والخبر والقياس والاشكالية بينهما ادى الى انفصال الفكر عن اللغة.

فمثلا في التحليل البياني لخطاب الأصل والفرع حدد الشافعي أصول الفقه في أربعة (الكتاب والسنة والإجماع والقياس) وجاء الأصوليون بعده صفوها الى (النص القرآن والسنة) والإجماع والقياس. شكل الأصل لديهم (نص، إجماع، قياس) وتأسيس باقي المعارف عليها.

قاول السلطات التي قيدت العقل المعرفي الديني هي (الأصل) ودائما محكومة به وبالمرحلة العقلية التي تقوم كلها على الأصل والاستنباط منه، وحتى القياس هو ضمن الأصل وضوابط المنهجية. والإجماع يؤسس الى ما يعرف بسلمة السلف الصالح،

البرهان. يعتبر البرهان أقوى قيم الإنسان العرفية الطبيعية عن حس وتجربة ومحاكاة عقلية، فإذا كان البيان والعرفان ولدا بالاعتماد على القرآن والحديث فالبرهان هو منهج للتفكير والتدبر والذي تعود جذوره الى الثقافة الإغريقية القديمة والتي تأثرت بها الثقافة العربية الإسلامية، فعند الإمام الغزالي أصبح البرهان مجرد ألية ذهنية شكلية أريد منها ان تحل محل الية ذهنية أخرى، للاستدلال بالشاهد على الغائب، مما أفقدها وظيفتها الأساسية كما جاء بها ارسطو وهي (التحليل).

اما ابن سينا ونظريته في المعرفة المستندة على البرهان انتهت به الانحطاط في إشكاليات الأحاديث ومعرفة سلطة السلف وما تكلموا به من جهة، مع تبني نتاج العقل المستقل من جهة أخرى، مما أفقد البرهان طابعه العقلاني (العلمي).

يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه "بنية العقل العربي" الموروث البياني المعرفي فقد قدرته على النمو بعد ان استنفد كل امكانياته من خلال ادخال هذه المفاهيم والقيم واشتباك المسائل وتصادم الرؤى والاستشرافات داخل المعرفة العربية الإسلامية. وبين الجابري أيضا "ان انهيارا اصاب العقل والمعرفة نتيجة (طريقة) المتأخرين في (المعرفة) اذ تم النزول بالعلم الطبيعي الارسطي الى مستوى الفيزياء الكلامية، وصارت كل فعالية العقل ان يحفظ ويتذكر، لا ان يبحث ويستدل.

**عقلانية**

العقلانية: وهي من اشد التناقضات في المعرفة والبنية العقلية العربية الدينية، سيكولوجيا ومعرفيا، تطورت الحقيقة التي يقع الشرع والفقه والفكر الديني خلفها تماما، أي الباطن يقع خلف الظاهر، والحقيقة ليست دينية او فلسفية او علمية، بل الرؤية السحرية للعالم التي تركزها الاسطورة.

الغزالي او قبله من خلال التداخل في علم الكلام والتي أصبحت ساحة للصراع بين المقولات واختلاط المفاهيم (ثنائية اللفظ والمعنى) و(الأصل والفرع).

بالتالي تأسست مجموعة من السلطات قيدت العقل المعرفي، المقيد أساسا، وهي سلطة اللفظ وسلطة الأصل (القياس والسلف) وسلطة التجويز.

**العقلانية المعاصرة للعقل المعرفي المعاصر** : جاء الإنسان المعاصر ويعقل يدعي العلمية والعقلانية معا، في عصر السياسة التي تنهل من الأديان، في عصر الأنسجام مع المفاهيم والقيم الدينية والاجتماعية التي نشأ عليها.

يقول الأستاذ على الوردى عندما تتحدث مع أي شخص وتساله: كيف عرفت الله؟ فيجيب (عرفناه بالعلم) والحقيقة ان عرف الله (الله الخاص به) فقط من خلال مجموعة من المفاهيم المغلوطة. التي أسست لما يعرف بالانهيار المعرفي للعقل الديني السياسي الحاكم اليوم، وكذلك اضرت بالمتقنين والعوام سوا.

لقد أصبح الخطأ متداولاً من خلال سلطة التجويز والفشل تراكميا حتى فشل كاهله على العقول والادراك، دون وعي او تقدير لحجم الضرر الناتج منها. لعل أخطر المفاهيم في الإنسان المعاصر هي العقلانية واعتبارها الإنسان كائناً عقلا، ويجري سلوكه ووعيه وادراكه حسب العقل والمنطق. فلو أردنا تبديل القناعة المعرفية للإنسان من خلال الخطاب البياني او العرفاني او البرهان، فقلنا ان نقدم له الدليل الواضح ليغير قناعته السابقة، لكن الإنسان اليوم نجده متعمصا معاندا وحتى مغرضاً في تبني ايا من المفاهيم التي يحملها!! دون معرفة السبب وراء هذه المعاندة!

كي نصل لتفسير لهذه الظاهرة، وهي التصبر لفكرة ما دون غيرها وعدم التعامل بعقلانية مع القيم والمفاهيم السائدة، يقودنا الى فهم فلسفة العقل القديمة التي

# إنهيار العقل المعرفي الديني

يحملها العقل الديني، التي تنق بالعقل بالبشري ثقة مطلقة وتمجده وتبالغ في تمجيده.

تختلفها النظرة الحديثة للعقل، فهو متحيز ومحدود بطبيعته، رغم كونه جهازاً عظيم وله سيطرة على أعظم الخلق وهن الإنسان، والإنسان المعرفي، لكن الحقيقة التي توصل اليها علم النفس الحديث وعلم الاجتماع انه يعمل للتخزين، ويكون ذو طبيعة

سيكولوجية ولا يعترف بالمنطق اطلاقاً، أي يميل مع أي هوى، يزيح عنه التوتر، ويوفر له الراحة والانسجام مع المفاهيم والقيم الدينية والاجتماعية التي نشأ عليها. يقول الأستاذ على الوردى عندما تتحدث مع أي شخص وتساله: كيف عرفت الله؟ فيجيب (عرفناه بالعلم) والحقيقة ان عرف الله (الله الخاص به) فقط من خلال مجموعة المفاهيم العرفية التي تشكلت في بيئته.. فإلهه عند المسيح غيره عند اليهود وغيره عند الهنود والبوذيين وهكذا.

ان اهم عوامل انهيار العقل المعرفي اليوم هي التراث او التراثية وهي مجموعة القيم والمعتقدات والتقاليد والتقنيات في مجتمع معين،

فيقول الكاتب سمنر في كتابه (الأعراف الشعبية) يمكن ان تجعل أي شيء حسناً في مجتمع معين وايضا هو نفسه قبيحا في مجتمع آخر، كذلك المفاهيم الدينية تختلف مع الثقافات والبيئة وكيف يتعامل العقل معها فمثلاً، يمكنك ان تسمع نكتة دينية في مجتمع اوربي، لكنه يقابلها الحزم والعقوبة ان قيلت في مجتمع عربي او بدوي او حتى محافظ.

ومن سباب الانهيار المعرفي أيضا، (المصلحة) والمصلحة الخاصة، وهي آفة العقل والتفكير الكبرى، فترى ان الإسلام السياسي في أيام معارضته للحكم يحمل تفسيراً مختلفاً تماما عن تفسيره لنفس القيم والممارسات أيام حكمه!! فبينما كان رجل الدين المعارض للسلطة، يدعو العامة للخروج على الحاكم. نجده اليوم يناضل بكل ما يملك من اذلة وبراهين لغوية وعقلية لدعوة الناس على الجلوس على رصيف الصبر وعدم الجزع ومن البلاء وتحمل الرزايا، وعدم جواز الخروج على سلطة الحاكم.

**خطاب بياني**

وهو يخرق ويناقض الخطاب البياني مع خلال سلطة (اللفظ والمعنى) التي يطوعها لخدمة

مصلحته دائما، ويسوق لتق الأعراف الشعبية) يمكن ان تجعل أي شيء حسناً في مجتمع معين وايضا هو نفسه قبيحا في مجتمع آخر، كذلك المفاهيم الدينية تختلف مع الثقافات والبيئة وكيف يتعامل العقل معها فمثلاً، يمكنك ان تسمع نكتة دينية في مجتمع اوربي، لكنه يقابلها الحزم والعقوبة ان قيلت في مجتمع عربي او بدوي او حتى محافظ.

هنا يأتي التفسير المنطقي لحدودية العقل البشري للامة، فهو عقل له حدود يقف عندها، وهو عظيم ومبدع داخل هذه الحدود، لكنه يبق مشلول إذا خرج منها.

أخيراً العاطفة او الهوى، يمكن القول عن العاطفة نفس ما قيل عن المصلحة في تأثيرها على العقل المعرفي للإنسان المخكر والعادي، وكثيرا ما تتوخد العاطفة مع المصلحة ولان الثقافة المحلية تتبع الاساطير والمثولوجيا التي اطرت بإطار ديني، دائماً لها جانب عاطفي كبير، تجعل العقل متأثر مع شخصها ويرى الباطن منها اسود والاسود ايض إذا ما خالفت او صادفت هواء وكما خالفت او صادفت هواء وكما خالفت او صادفت هواء وكما

وأنعين السخط تبدي المساويا.

**اما ابن سينا ونظريته في المعرفة المستندة على البرهان انتهت به الانحراط في إشكاليات الأحاديث ومعرفة سلطة السلف وما تكلموا به من جهة، مع تبني نتاج العقل المستقل من جهة أخرى، مما أفقد البرهان طابعه العقلاني (العلمي).**

**يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه "بنية العقل العربي" الموروث البياني المعرفي فقد قدرته على النمو بعد ان استنفد كل امكانياته من خلال تداخل هذه المفاهيم والقيم واشتباك المسائل وتصادم الرؤى والاستشرافات داخل المعرفة العربية والإسلامية. وبين الجابري أيضا "ان انهيارا اصاب العقل والمعرفة نتيجة (طريقة المتأخرين في المعرفة) اذ تم النزول بالعلم الطبيعي الارسطي الى مستوى الفيزياء الكلامية، وصارت كل فعالية العقل ان يحفظ ويتذكر، لا ان يبحث ويستدل.**

# النكتة السياسية خلعت ثوبها القديم

على وجه التحديد، من ذلك على سبيل المثال، ان الشارع بدأ يطلق لقب أبو فرهود، على رئيس الوزراء يومها طاهر يحيى، وقد تبادلت الناس النكتة التالية مواطن مخمور كان يترنخ في الشارع ليلاً وهو يريد هذه العبارة التي تتداولها الناس بشأن اشسويت بيته ابو فرهود-

وحين القى رجال الأمن القبض عليه واحالوه الى المحكمة، ساله القاضي: من هو ابو فرهود؟ فانكر الرجل معرفته به، وانه سمع هذا الكلام وراح يردد وهو في حالة سكر.. ومع الحاح القاضي عليه، إنه اصّر على عدم معرفته، ولهذا اصدر القاضي حكماً بسجنه لمدة 9 اشهر لكونه يجهل بان رئيس الوزراء طاهر بحبي هو ابو فرهود!! بعد صعود حزب البعث الى السلطة 1968تم انتقالها الى صدام حسين 1979- 2003 اتسعت رقعة النكات السياسية نوعاً وكما بصورة غير مسبوقة، وامتدت الى الرشوة وسرقة المال العام والنظام الشمولي والظلم وديكتاتورية الفرد..الخ. وبالنظر لان تأثيرها على النظام كان اخطر من أي بيان او منشور سياسي، فقد عمدت السلطة بدورها الى تصدير نكاتها الى الشارع في محاولة لاستغلال الناس وابعاد وجهته عن النكات السياسية، وقد انضمت محاولات السلطة على النيل من مكونات الشعب، فكان الكرد والسليم واهل الموصل هم الثلاثي الذي تم توظيفه مع إن هناك الاف من ابناء هذه المكونات ضمن الموالين للسلطة، الا إن تلك المحاولات لم تحقق اهدافها، كان الشعب بسمعها وبيضها، بما فيه من المكونات الخالصة، من دون الانشغال بها، وفي حدود ما يقع في ذاكرتي، فقد كان

من طبع او طبيعة من تكوين، ولهذا ضاقت رقعة التداول منلما تاطرت "النوعية" الى اقصى حد ممكن، فإلى سنوات قلائل مضت كان محور الطرائف يدور حول موضوعات لا تتعدى عدد الاصابع، واذا كان الخوض في اسباب وواقع التلك يحتاج ذاته الى مبحث خاص، فان جوهر القضية يقوم على ان هذا الاسلوب هو نوع من المواجهة ونوع من التحصر الذاتي والبحث عن متنفس لشكل من اشكال المعاناة مهما تابنت جدتها ومرارتها، وعلى هذا الاساس فقد انجبت الحاجة الماسة عبر الاعوام الاخيرة من تاريخ العراق الحديث انواعاً واشكالاً واسعة من النكات المطبوعة بطابع عراقي خالص وتكعبيراً عن المرارات التي عانهاها العراقيون. على ان ما هو اكثر اهمية حقاً هو انتقال الفكاهة من الفرد المجتمع الشارع الى وسط او اوساط جديدة ازدهر فن الفكاهة لديها واستطاعت تطويرة تطورياً كبيراً، وفي المقدمة من ذلك وسائل الاعلام والصحافة من بينها على وجه الشبوع والكثرة، حتى تحولت النكتة على صفحاتها الى فن ساخر رفيع المستوى سواء من خلال الرسم الكاريكاتيري ام عبر المقالات الساخرة. مع ان رسامي الكاريكاتير وكتاب العمود الساخر ليسوا جديدين على هذه المساحة الا أنهم عاشوا معاناة الشارع وابدعوا على حد واسع في توظيف الطرفة توظيفاً فنياً ولمأحاً وذكياً، ولا يمكن ان تغفل ما شهده المسرح العراقي في هذا المجال بغض النظر عن تطرفه احياناً فيما عُرف يومها بالمسرح التجاري.

ان الملاحظة الأساسية على النكتة العراقية وتجسيدياتها

من طبع او طبيعة من تكوين، ولهذا ضاقت رقعة التداول منلما تاطرت "النوعية" الى اقصى حد ممكن، فإلى سنوات قلائل مضت كان محور الطرائف يدور حول موضوعات لا تتعدى عدد الاصابع، واذا كان الخوض في اسباب ودوافع التنكيت يحتاج ذاته الى مبحث خاص، فان جوهر القضية يقوم على ان هذا الاسلوب هو نوع من المواجهة ونوع من التحصر الذاتي والبحث عن متنفس لشكل من اشكال المعاناة مهما تابنت جدتها ومرارتها، وعلى هذا الاساس فقد انجسبت الحاجة الماسة عبر الاعوام الاخيرة من تاريخ العراق الحديث انواعاً واشكالاً واسعة من النكات المطبوعة بطابع عراقي خالص وذلك تعبيراً عن المرارات التي عانهاها العراقيون. وقد أدى هذا العزوف الى المحسودية الواضحة في صناعته، لأنها ليست جزءاً من طبيعة من تكوين، ولهذا ضاقت رقعة التداول منلما تاطرت "النوعية" الى أقصى حد ممكن، فإلى سنوات قلائل مضت كان محور الطرائف يدور حول موضوعات لا تتعدى عدد الاصابع، واذا كان الخوض في اسباب ودوافع التنكيت يحتاج ذاته الى مبحث خاص، فان جوهر القضية يقوم على ان هذا الاسلوب هو نوع من المواجهة ونوع من التحصر الذاتي والبحث عن متنفس لشكل من اشكال المعاناة مهما تابنت جدتها ومرارتها، وعلى هذا الاساس فقد انجسبت الحاجة الماسة عبر الاعوام الاخيرة من تاريخ العراق الحديث انواعاً واشكالاً واسعة من النكات المطبوعة بطابع عراقي خالص وذلك تعبيراً عن المرارات التي عانهاها العراقيون.



حسن العاني

بغداد

يعني بآية حال من الاحوال إنه على التقيض من المرح او الظرف، ولهذا كان الاحساس الكبير بالمسؤولية دافعاً الى مسعى جاد في تبني الشعر وسيلة مفضلة على غيرها للتعبير عن الذات والأفكار والعواطف، من هنا يذهب مؤرخو الادب، الى ان العرب

بعد ان تصرفوا بجديته كاملة في توطيد مسؤوليتهم ورسالتهم بدءاً بصغر ما قبل الاسلام فالعصر الإسلامي ثم العصر الأموي، عمدوا الى تطعيم "جديتهم" بفنون المرح والتكثيف في العصر العباسي لاحساسهم بان مسؤوليتهم الحضارية قد حققت مداها،

اشرنا الى الفجوة القائمة بين

العراقي وبين الميل الى المرح، وقد أدى هذا العزوف الى المحسودية الواضحة في صناعته، لأنها ليست جزءاً